الأستاذ محمد عبد اللطيف فرحات

الشاعة (الشائعة)

الشاعة أو الشائعة وبالعامية الإشاعة وفعلها شاع أي انتشر وافترق وذاع وظهر...

وحول مصدر هذا الخبر تتعدد الروايات وتكثر.

من أين أتت وكيف انتهت وهي التي لاتنتهي احياناً. لا أحد يعرف، ولكن الكل يسأل ما الخبر ؟ والكل يجيب... يتساءلون، ثم يحللون، ثم يعطون النتيجة و الخلاصة إما حكمة وإما مهانة، وإما نصيحة تتضمن معنى الإساءة.

وبعد صولات وجولات داخل الأروقة والصالونات والحانات الشعبية والباحات... في السرد والتداول و الحوار... تنتهي القصة بأنها خبرية كاذبة لا صحة لها ولا أصل من قريب ولا من بعيد، لأن من صاغها كان جاهلاً أو مُغْرِضاً أو مشتبهاً. ولكن وبعد هذه الرحلة الطويلة لهذه البالونات الحرارية التي انفجرت هواءً فارغاً، ساذجاً، سخياً في وجه صناعها وتجارها ليبرز لنا السؤال: لماذا خاض هؤلاء المجاهدون غمار معركة اعلامية وهمية خاوية، وجالوا بدوريات جوّالة، وحملات موتورة، من بيت الى بيت، ومن زاروب الى زاروب، والوقت ثمين والهموم كبيرة، والمسؤوليات تُرهق كاهل المواطن، وكل ذلك دون طائلة وفائدة .

ومن أهم أصحاب المصلحة الوطنية النبيلة، ودعاة الغيرة الحَمَأَة و الحميّة، الذين انبروا لتقويم اعوجاج وإصلاح فساد أو بناء مجتمع مثالي.

تختلف أصناف البشر، وتختلف معهم العقول، وكلٌّ يغني على ليلاه: هذه فتاة يافعة يانعة، لم يحالفها الحظ بفتى أحلامها وفارس حياتها وأمنياتها قد أمسكت بخيط وهمي وبدأت تحيك

أخباراً وأفكاراً وأفلاماً وتصدرها للقاصي والداني ولمن يريد بضاعةً مجانيةً نادرةً ... أسرار وأخبار من قلب الجوار غير عابئة بما يعود عليها من وبال، وتوبيخ ضمير، لخراب بيت أو مجتمع.

وذاك وغدٌ لم يعرف للحياة بُعْداً ولا للمسؤولية تقدير، فشل في كل أمور حياته، فبات معلقاً بين الأرض والسماء، لاعمل له ولا دور، يقيس الشوارع ويوزع الساحات والطرقات. أراد أن يخرج من مأزقه وورطته ويكفّر عن خيبته عندما سمع الخبر فتحول الى وسيلة اعلام متحركة في كل مكان، وكأنه يريد أن يُبعد عنه مكروهاً ويُلحقه بغيره، ليفكّ عنه حصاراً ويصبح هو السجَّان القُدوة، يقتدي به الناس ويسيروا على خطاه وكل ذلك تتويجاً لفشله وسقوطه.

وقد أنعم الله على قريتنا بنعمة لا مثيل لها ، فريق من نساء ماجدات ربات بيوت ... وهبهن الله طلاقة اللسان، فازداد طولاً ومرونة مع الأيام، وفصاحة في الثرثرة والمنطق، ولياقة في اسلوب الغيبة والنميمة، وتفوقاً في سرد ما يحلو لهن ويطيب من أرخص الكلام.

ها هن يتنقلن من بيت الى بيت ينهلن عليك كالسيل بأخبار حامية، حسنت أو ساءت، لاهمّ لهن إن مزّقت كيان عائلة أو وضعت إسفيناً بين أواصر القربى ، المهم هو تحقيق رغباتهن في إشباع هواية نثر الكلام، وتنمية غريزة الأنانية، والتلاعب بمصير الناس وتحويله الى ارجوحة يتقاذفنها لتُرمى في مهب الريح.

وكلما عشت كثيراً كلما رأيت وسمعت كثيراً من النوادر والطرائف. فكيف ونحن في عصر العولمة و الكرة الأرضية أصبحت قرية كونية صغيرة، تصل فيها الأخبار وتنتشر في دقائق وثوان.

هاهم المغتربون يَفِدون الى قريتهم لقضاء عطلة الصيف الممتعة ويشاركون أهلها أفراحهم وأتراحهم... ومن يقول أنهم بعيدون عن الخبر الحدث (الشائعة)، فقد تلقفوها في حينها (خبر عاجل) وقبل قدومهم الى الوطن وعمّت الأرجاء كعملٍ اضافي في المهجر. ها هم يعودون ليخبروا ويستخبروا... نعم لقد قال أحدهم وثغره الذي تشدّق بابتسامة عريضة، وقد أعمت الدنانير قلبه، وأقفلت عقله:"لقد سررنا جداً بهذه الخبرية و أمضينا أوقاتاً مسلية، إنها جميلة فهل من أخبار جديدة؟

إن هذه البساطة و السذاجة عند هؤلاء الأغبياء تأتي من أمور كثيرة أقلها الحُمق والسُخف والجهل والغباء و الأنانية والفساد في أخلاقهم والإفساد في المجتمع." وأكثرها سعيهم لتأمين طعامهم وشرابهم ليعيشوا، إن هم كالبهائم بل أضلّ سبيلا.

و الأمر المستغرب والذي لا اجابة عليه وتحليل لسره! حين يسأل أحدهم عن الخبر صاحب الشأن نفسه الذي دارت عليه الدارة فيقول:

- **أخبرني فلان خبراً عنك يقول كذا وكذا فما الخبر؟**
- **من هو هذا المخبر الصادق؟**
- **لا: لا حلَّفني أن لاأذكر اسمه ابداً.**
- **عجباً! وهل هذا المخبر هو الإمام المعصوم الثالث عشر؟**
- **لا... ولكنه صديق حميم.**
- **أيها الوفي الصادق لصديقك، الكاتم للسر؟ ألا تعرف ان هذه الخبرية قد عمّت الأرجاء وبلغت الفرقدين.**
- **أبداً لم أعرف ذلك قطعاً! أصحيح ما تقول؟**
- **لماذا تتغابى وتتجاهل، نعم لم يبق أحد بعيداً عن هذا الخبر.**

- **اسمح لي أنا ملتزم لا استطيع أن أخبرك من القائل؟!!**
- **ألا تعلم يا " صديقي أن هذا الفاسق الذي أخبرك ونقل لك هذا الخبر الشائع الذي لا يسمّن ولا يغني عن جوع، قد أضلّك انت بدورك، ايها الجاهل البسيط وأوقعك في شرك الفاسد و الفساد.**

أولم تسمع الآية الكريمة التي تقول : "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين"(سورة الحجرات الآية6).

- **اعذرني لم أسمع ذلك ، هكذا سمعت منه ولا أعرف ما الأهداف والأبعاد، سامحني ليتني لم أعرف ولم أخبر... وماذ نقول في هؤلاء؟**
- **هل هم بسطاء و مساكين؟ أم هم من الحمقى والحاقدين؟ وهل هم مصلحين أو مفسدين؟أم هم من الخبثاء والحاسدين؟**

والحق يقال بأن كل ما ورد عنهم هو صحيح بل أكثر من ذلك بكثير.

وتكثر الشائعات في ظروف صعبة وحرجة وخاصة عند الضائقة المادية، في وقت تزداد فيه البطالة، وترتفع كلفة المعيشة ومتطلبات المجتمع المعاصر... فيلجأ الناس الى الكلام و البحث عن مواضيع تفتح مجالات التلاقي، فيأتي الكلام بمستوى البطالة التي وقعوا فيها، كلاماً باطلاً فارغاً، ليصبح الكلام عملاً ومصلحة تملأ الفراغ حيث أصبحت النرجيلة سيدة الموقف.

ويدور الحديث في مؤتمرات مختلفة لأحداث الساعة والأسبوع حول حركة الناس وعلاقاتهم، فلا تسلم من ألسنتهم فتاة أو شاب أو أرملة أو مطلقة أو زوج وزوجة إلا وتدخلوا في حلّها، بل في تعقيدها بالتحيّز لهذا أو ذاك، مما يهشّم العلاقات بين الناس ويزيدها بعداً أو صعوبة.

فالخبرية الصغيرة تكبر وتكبر ككرة الثلج، ولكن كرة الثلج تكبر وتبقى متجانسة بيضاء ناصعة، بينما الشائعة تحمل معها الأفواه الشهيرة ألواناً وأشكالاً مختلفة ومتعددة بمستوى هشاشة هذه الأبواق من سيئات وشرور ورذائل و حماقات، ليكون المخبر من جديد قد جاء دائماً بجديد، ليزيد الشائعة تشويقاً. كي لاتبقى الشائعة على حالها وتصبح مملة وباطلة.

النظرة عندهم تتحوّل الى كلام ولقاء وزواج وإنجاب ثم طلاق....

كيف يجرؤ هؤلاء الناس على اختلاق الأخبار والأكاذيب وتزييف الواقع والحقائق ونشر كلام بعيداً عن الصحة والصدق، يساهم في حلّ خلافات و بناء مجتمعات. ولكن المجتمع لا يخلو من نساء أو رجال بمستوى المسؤولية والتقدير والإحترام والإنسجام مع الذات. فلا يقعون في متاهات الترهات والأوهام والافساد لأنهم يعلمون جيداً ويفكرون قليلاً قبل أن يقولوا شيئاً، و ينبذون ويرفضون كلاماً، ولا يصدقون كل ما يسمعون، ويرفضون الخوض في غمار الاخبار التي يعلمونها، والتي لا يعلمونها ، لا يدّعون الحكمة، ولا ينصّبون أنفسهم حكاماً لقضاء عادل نزيه.

ها هي إحدى السيدات الفاضلات تقول: كيف أعرف أن لي محبين وأصدقاء، وأعلم بأن الناس تقوم بالواجبات تجاه بعضها البعض في السرّاء و الضرّاء . ولكني لم أعرف لماذا ازدادت محبة الناس لي في تلك الفترة وأصبحت واجباتهم ومحبتهم لي منقطعة النظير.

ها هن النساء يتوافدن زرافات ووحدانا كموج البحر لزيارتي، وبعد السلام والكلام و التحية، وقبل جلوسهن لاستراحة المحارب، تأتي مباشرة كلمة هل سمعتِ بآخر الأخبار؟

- **كلا ما الخبر؟**
- **ولو! خبر فلان وفلانة.**

- **ومن قال لكنَّ هذا الخبر؟ الضيعة كلها تعجّ به والجميع يتكلم بهذا الموضوع.**
- **ألا يمكن أن يكون هذا الخبر دعابة كاذبة كبقية الدعابات المشبوهة؟**
- **وما الذي يؤكد صحة هذا الخبر؟**
- **وهل يمكن أن يكون هؤلاء الناس يتكلمون جميعهم كذباً وظلماً وزوراً؟**
- **إنها خبرية كاذبة وملفقة ولا تصبّ الا في خانة التعدي الأدبي والأخلاقي والاجتماعي على تدمير المجتمع وخراب البيوت.**
- **كنا نتوقع منك أن تعطينا أخباراً جديدة و معلومات وأفكاراً ولكن لا تقدّرين معنى الخبر و الحنكة و المهارة.**
- **نعم أنا جاهلة و أمية الى درجة الغباء في التعاطي بهذه المهنة الحقيرة ، مهنة التأليف والتلفيق و البدع والتوزيع ولست مستعدة أن أكسب مهنة جديدة وأبرع فيها . فأنتن صاحبات الاختصاص بدون منازع، وانا لا أتعدى عليكنّ ولا أنتزع منكنّ عملاً برعتنّ فيه، اذهبن واسعين لطموحكن لعله يدرّ عليكن أموالاً وأغلالاً وحصاداً أخلاقياً.**

هكذا حدث ويحدث قي مجتمعاتنا النامية المتقدمة و الممزوجة بالتخلف والتمسك بالعادات السيئة.

فلتبق الأمثال والأقوال المأثورة هي الأساس في علاقات الناس: فمن كثر كلامه كثر خطأوه... ومن يزرع الريح لا يحصد الا العاصفة.